17 me Année No. 828

Lundi — 16 — 5 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٨ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ رجب سنة ١٣٦٨ — ١٦ مايو سنة ١٩٤٩ » الـسنة السابعة عشرة

٤ — أمم حـــائرة

الهداية والرقابة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

إن قامت الجماعة على غير طريقة ، وعملت على غير خطة ، فكيف تستقيم على محجّة ، وكيف تقصد إلى غاية ؟ وإذا انبهمت الغاية ، واشتبهت السبل ، ساغ لكل جاهل أن يدل على الطريق ، واستطاع كل ناعق أن يقول : « هذا هو النهج » وليس بعد هذا إلا الضلال والحيرة .

لا بد من عقل رقيب ، وفكر ناقد ، ورأى سديد . ولا بد أن يكون للعقل والفكر والرأى طريقة تؤدى إلى الناس نصيحتها ، ونظام يعرّف الناس بدعوتها ، وقانون ينفذها . فلا تضيع الآراء السديدة في ضوضاء المضلّين ، وصيحات المبطلين . ولا بد من رقابة الجماعة ومن سلطانها متمثلين في نظام الحكومات وفي الطوائف التي تقر لها الجماعة بالهداية والرقابة والتقويم .

إني لأرى أموراً تحدث في نظام الأسر وسنن الجماعة ، لا يُعرف كيف نشأت ؛ وهي لا تجد من أولي الشأن رعاية إن كانت صالحة ، ولا حرباً إن كانت فاسدة . وأرى كثيراً من العادات تشيع على كره عقلاء الأمة والمصلحين فيها . فأسأل نفسي وأسأل أصحابي : لمن قيادة الجماعة ؟ وبأي يد أزمّتها ؟ فأرى أحياناً أن مبتدعي هذه العادات الكريهة ، ودعاة هذه العادات السيئة ، من أصحاب الهوى المولّعين بالتقليد ، أو طائفة من التجار الساعين وراء الكسب بأية وسيلة ، ومن أصحاب الملاهي وأشباه هؤلاء . فهؤلاء يقضون في أمور تُحسب هينة ، وهي في سير الجماعة ذات عواقب وخيمة ؛ يراها المفكرون المبصرون وتكلّ عنها أبصار من لا يتجاوزون الظاهر ، ولا يدركون ما بعد اليوم . هؤلاء ، ومن ورائهم الدهماء ، يسيّرون الجماعة أحياناً بأهوائهم ومآربهم ، ويدعو الخيار فلا يستجاب لهم ، ويقول المصلحون فيُسخر منهم ، ويُمضي أولو الأمر تهاوناً واحتقاراً ، عن أمور يرونها صغيرة وما هي بصغيرة .

قد شمل القانونُ والنظام كلَّ الجوانب في الجماعات الحاضرة قانون الحكومة وقانون الهيئات التي تقرها الحكومة على اختلاف النظم والأسماء .

كانت الجماعات ، فيما سلف ، لا يتناولها القانون والسلطان إلا في بعض شئونها ؛ ولكن حكومات هذا العصر تشرف على كل شيء ، وتحاول الإصلاح في كل شيء ، بالإجبار أو الإرشاد ؛ فالتعليم والصحة والرياضة وأمور اجتماعية كثيرة تتولاها الحكومات أو هيئات تقرها الحكومة وكانت من قبل لا تعنى بها الحكومات إلا قليلا .

فلا جرم أن هذه الحكومات والجماعات المختلفة قادرة على الهداية والرقابة والتقويم والتهذيب إن عنيت بالأمور النفسية

والاجتماعية العناية الخليقة بها

وليس في الهداية والرقابة جور على الحرية . فإن الحكومة والهيئات الأخرى مشتقة من الأمة قائمة باختيارها ورضاها . والأمة تشترط بأن تقيَّد بكل نظام صالح ، وتُربط بكل خلق كريم وسنة حميدة ، وتُصد عما يضر بها ويذهب بسعادتها .

ثم الصحف والمدارس ما خطبها في التقويم والإصلاح والقيام على النشء والإشراف على الجماعة ؟ إن خطبها لعظيم . فأين هي من احتمال الأمانة والاضطلاع بالعبء وتأدية الواجب ؟ إن لكل منها لحديثاً ، وأبدأ بحديث الصحافة :

هي من نعم هذا العصر ومحاسنه ، وهي من نقمه ومساوئه . وهي عظيمة الخطر كبيرة الأثر في الجماعات . تطلع على الناس صباح مساء بأخبار وآراء ، وعلم وفن ، وأمر ونهي ، وجد وهزل ، لا تدع أمراً مما يهم الإنسان في معيشته الخاصة ، أو أحوال الجماعة التي يعيش فيها ، أو الأمم الأخرى إلا عرضت عليه خبراً منه ، أو رأياً فيه ، أو نبذة من علم يتصل به ، أو فن يرجع إليه ، أو تاريخ يبينه ، أو قصة تصوره .

وهي تنتشر في كل جانب وتلقى الإنسان في طريقه وداره ومدرسته ومتجره ومصنعه وحيثما كان في شأن عام أو خاص : تطلبه وإن لم يطلبها ، وتقتحم عليه وإن لم يدعها .

وأمر الصحافة أبين وأوضح ، وأشيع وأجلى من أن يُعنى الكاتب ببيانه ، أو يحس حاجة إلى الكلام فيه .

فانظر كيف أثرها إن صدقت ، ونحرت الصدق ، وطلبت الحق ، وأخلصت في طلبه ، وعملت للخير ودعت إليه ، وسارت على طريقه لا تحيد ولا تضل ، ولا تميل ولا تزيغ ، ولا تجور ولا تحابي !

وانظر كيف أثرها إن خلطت صدقاً بكذب ، ولبست حقاً بباطل ، وعملت لنصرة فرد أو طائفة أو حزب ، وزينت لها العصبية أن تُزيِّن كلَّ ما يقول حزبها وما يفعل ، وإن تقبِّح كل ما ينطق به خصمها وما يعمل ! وانظر كيف أثرها إن بغت الانتشار والربح بكل وسيلة ، واحتالت لها بكل حيلة ، ولم تبال صلاح الناس وفسادهم ولا خيرهم وشرهم ! وانظر كيف هي إن فتنت القراء وأضلتهم وتركتهم على قلق وتردد في آرائهم وأعمالهم ، ولبس وحيرة في أخلاقهم وآدابهم . وأقامتهم في بيداء مضلة لا تبين سبلها ولا تعرف أعلامها ؟ كيف أثرها إن احتالت على القراء بما يهوى القراء ، بل بما يهوى عامة القراء ، وبما يستهوى الدهماء من قصة مفسدة وصورة فاتنة وما إلى القصص والصور من أنوال لم يُصدرها عقل ولم يراقبها وجدان . إن الداء عضال وإلى الله المشتكى .

إن الصحافة خير ورأى ودعوة وتعليم . وشروط هذه كلها التثبت والتقدي وقصد الحق والخير والإخلاص فيه ابتغاء وجه الله ؛ فليس كل ما يُسمع من الأخبار يروى قبل التثبت والتحري . وليس كل ما يصح بعد التثبت والتحري يُنشر حتى يُنظر أهو جدير بالنشر ؟ أيستحق أن يذكر ؟ أليس في نشره إثارة فتنة أو إضرار بفرد أو جماعة ، أو إفشاء لسر يحسن أن يكتم ، أو إظهار لأمر يجمل أن يستر ؟ ومرجع هذا كله إلى وجدان القُوَّام على الصحف وعلمهم وبصرهم وإخلاصهم . وإن لهم من أولئك رقيباً أكبر من كل رقيب وأعظم شأناً وأقوى سلطاناً من الحكومات والقوانين .

وأما أن يختلق الخبر ، أو ينشر دون تثبت ، أو يذاع لنكاية أو لتشنيع أو تسميع أو إثارة فتنة فيها هوى للناشر أو مصلحة له أو لحزبه ، فهذا تنكره مروءاتنا وأخلاقنا ودينا وتاريخنا . ومهما يقل القائلون في حرية الأخبار وحق النشر ، فلن يجد من عقولنا قبولا ولا في ضمائرنا رضا . فليتق الله في أنفسهم ومواطنيهم وأمتهم وفي الناس جميعاً هؤلاء الكاتبون وهؤلاء القائمون على الصحف .

وأما الرأى فمناده علم ونظر وتروٍ . فإن رُمِيَ بالرأى دون إحاطة بموضوعه ، أو دون تفكير فيه ، أو بغير إعمال الروية كان حرياً أن يبعد من السداد ، وأن يخذله الرشاد ، وكان خليقاً أن يُضل ويُضل ويُفسد ولا يُصلح .

فهل الآراء التي تطلع بها الصحف صباح مساء ، أعطيت حقها من المعرفة ، وشرطها من الروية ، وحظها من الإخلاص ؟ أي فارق بين الكاتب الذي يكتب فيما لم يحط به علماً ، وبين المعلم الذي يتكلم على تلاميذه وهو لم يحط بدرسه ولم يوفه بحثاً وفكراً ؟

هذا ، إن حاد بالرأى عن الصواب جهل أو تهاون أو عجلة . فبالك إن زاغ به هوى ، وأريد به تضليل ، وقصد به إلى مآرب ؟ وكيف إذا اختلفت الأهواء وكثرت الآراء وكلها لا تهدى إلى الحق ، ولا تبتغي الخير ، ولا تبالي إلا بهزيمة الخصم والتشهير به